كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : ألـثانـية

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : الأدب الإسلامي

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic literature

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية : اتجاهات الشعر في العصر الأموي

اسم المحاضرة الثانية باللغة الانكليزية: Poetry trends in the Umayyad era

اتجاهات الشعر فى العصر الاموى:-

اذا جاز ان نسمي شعر الدعوة والجهاد وشعر الفتوحات الاسلامية اغراضاً شعرية جديدة فرضت معانيها على الشعراء ليعبروا من خلالها على واقع جديد.

فان هناك أغراضاً تقليدية عرفت قبل الاسلام واستمر القول فيها قروناً طويلة امتدت حتى عصرنا والسبب في ذلك بأنها أغراض تتعلق بجوانب النفس الانسانية وما فيها من حب وكره ولذة وفرح يعبر من خلالها الشاعر عن ذلك بالشعر .

*فقد كانت اغراض المديح والهجاء والرثاء والغزل أغراضاً واسعة جديدة قديمة ، فقد تطورت هذه الاغراض وبدت متأثرة بتعاليم الاسلام كونه ديناً ونظاماً للمجتمع العربي.

*ان اثر القرآن في الادب لم يكن محصوراً في الاغراض الجديدة: أو المعاني المستحدثة ، وانما تجاوزها الى الاغراض التقليدية سواء في المفردات اللغوية المستعملة أو المعاني التي اكدها الشعراء. وهذا أمر طبيعي ينسجم مع طبيعة المجتمع العربي الذي أصابه التطور ، فجرى باللغة الشعرية ان ينالها جزء من هذا التطور يتمثل بدخول المعاني الاسلامية الجديدة الى صور الشعراء وبرز الفاظ جديدة ما عرفتها العربية قبل ظهور الاسلام.

أ-المديـــح

وجه الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)الشعراء ان تكون أشارهم غير منافية لتعاليم الدين الاسلامي و الاخلاق ان لم تكن مدافعة عن الدعوة واعية لها فكل ما وافق الحق فهو حسن.

*والمديح وسيلة خيرة اذا احسن استخدامه لترقيق النفوس وتهذيبها واصلاح ذات البين بين ابناء القبيلة الواحدة أو القبائل المتنافرة.

ويدخل ضمن هذا المديح زهير بن أبي سلمى لهرم بن سنان ودوره في حقن دماء قبيلتين طال الحرب بينهما.

وبذلك يكون المديح وسيلة لتمجيد الاخلاق العليا والمثل القومية التي يرتضيها المجتمع.

فقد كان هذا الغرض في عصر صدر الاسلام خارجاً عن نطاق المديح الشخصي أو ألتكسبي الى المديح الذي يجعل من الممدوح إطاراً لقضية عامة.

*ويدخل في هذا الاطار كل الشعر الذي قيل في مدح الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)فهو ليس مدحاً لشخص الرسول بقدر ما هو مدح لمكانته و نبويته. ولهذا اعجب الرسول بقول الشاعر عبدالله بن رواحة:-

فثبت الله ما اعطاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

*لقد قضى الرسول الكريم حاجة شاعر حين نجح في عرض وساطته و إثارة مشاعر المودة و العطف في نفس الرسول الكريم

على اسرى قبيلة هوازن بعد معركة حنين بشعر رقيق مذكراً الرسول بأن مرضعته من بني سعد من هوازن فيعفوا الرسول عن الاسرى.

*والمديح أوسع اغراض الشعر العربي ما خلا منه عصر و قلما خلا منه ديوان ، فالإسلام وجه الشعراء الى الالتزام في اشعارهم ، فكان المديح جزءاً من هذا الشعر الملتزم.

*ولم يعد مديحاً شخصياً بقدر ما هو مديح لقضية الدعوة ومديح الرسول اعلاء لقيم الرسالة السماوية.

فقد حرص الشعراء على توخي الدقة في اضفاء السمات الشخصية الاصيلة على ممدوحيهم وفق تعاليم الاسلام.

*فالشاعر الطفيل بن عمرو السدوسي يقول بعد أن هددته قريش لإسلامه معلناً ايمانه مادحاً الرسول بأنه رحمة للناس:

ألا أبلغ لديك بني لؤي على الشنآن والغضب المرد
بأن الله رب الناس فرد تعالى جده عن كلِ جـــــــد
و ان محمداً عبد رسول دليل هدى وموضع كل رشد

فقد استعمل لفظة(عبد) وما تحمله من ذل وهوان في عصر ما قبل الاسلام ليطلقها عل مديح الرسول لأنها حملت معاني انسانية بعيدة عن معناها السابق إذ لا عبودية إلا لله سبحانه وتعالى.

*وهذه المعاني الجديدة نجدها بكثرة في شعر حسان بن ثابت معدداً صفات الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)فهو خاتم الانبياء وقرن

اسمه الى اسمه حين جعل تمام أيمان المسلمين شهادة ان لا اله الا الله و أن محمداً رسول لله ، فقد خوفهم من النار و رغبهم في الجنة وهكذا يتحول مديح الرسول بياناً لمبادئ الاسلام التي جاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام.

أغرٌ عليه للنبوة خاتـــــــــم من الله مشهود يلوح ويشـــــــــهد

وضم الإله اسم النبي الى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشـــــهد

و شق له من اسمه ليجلـــــــه فذا العرش محمود وهذا محـــــمـــد

نبي اتانا بعد يأس وفتـــــــرة من الرسل والاوثان في الارض تعبد

*ان الكثير من القصائد و المقطوعات التي قيلت في عهد الرسول ، يمدح فيها الشاعر الرسول مدحاً بعيداً عن المديح الشخصي الذي يتناول ذات الممدوح وجعله جزءاً لا يتجزأ من الدعوة الاسلامية

- فمدح الرسول هو جزء من شعر الدعوة الاسلامية ، وهو جزء من اعلان الشعراء التزامهم بالعقيدة الاسلامية والدين الاسلامي.

*فالشاعر كعب بن زهير يمدح الانصار مديحاً بعيداً عن القبلية او الاغراض الشخصية التي كنا نعهدها في مديح قبل الاسلام ، فهو يمدحهم اذ دافعوا عن الرسول الكريم وتبنوا نصرة الدين الاسلامي ، فهم الانصار الذين نصروا الله ورسوله ، اذ يقول:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحي الانصار

و الباذلين نفوسهم لنبيهـــم يوم الهياج وقبة الجـــــــبار

*ويستمر هذا الاسلوب في مديح الخلفاء الراشدين.

يستقي ابو محجن الثقفي قيم اسلامية ليمدح ابا بكر بعناصر اسلامية فهو صديق لأنه صدق دعوة الرسول الكريم وهو صاحب لأنه صاحب الرسول في هجرته المباركة.

وسميت صديقاً و كل مهاجـــر سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهـــدٌ وكنت جليساً بالعريش المشهر
وبالغار إذ سميت خلاً و صاحباً وكنت رفيقاً للنبي المطـــــهر

وتستمر القيم الخلقية العربية القديمة التي اقرها الاسلام في أشعار الشعراء المسلمين مقترنة بصفات المؤمن الصالح .

*فالحطيئة مع ما عرف به من سلوك أقرب ما يكون الى حياته الاولى قبل الاسلام نجد في بعض أشعاره الاسلامية هذه المعاني الجديدة ، فهو يشكو حاجته وفقره للخليفة عمر بن الخطاب فيسميه ملكاً(وتلك بقايا روح ما قبل الاسلام) ويذكره الحساب يوم القيامة و أن ابناءه في جوع مستمر حتى يوم المحشر.

ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
غيبت كاسبهم في قعر مظلمـــة فاغفر عليك سلام الله يا عـــمر
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقتْ إليه مقاليد النهى البـــشر

*واذا كانت المعاني الاسلامية القليلة الواردة في اشعاره لا تشكل وجهاً ناصعاً لإسلام الحطيئة ، فهي ترسم بعض الملامح الاسلامية التي بدأت تسري الى نفسه و تؤثر في بعض معانيه.

*ان القيم التي دخلت في فن المديح بحكم الاسلام نجدها تستمر عند شعراء العصر الاموي حيث استقر الحكم على أساس الوراثة وليس على أساس الانتخاب كما كان في العصر الراشدي .

فالشعراء حاولوا اضفاء كل القيم الصالحة في نظر المجتمع على ممدوحيهم فالفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك بأن الله بعثه عدلاً ورحمة للناس. اذ يقول:

جعلت لأهل الارض امناً ورحمة و برءاً لآثار الجروح الكوالم
كما بعث الله النبي محمـــــــداً على فترة والناس مثل البهـائم

*اذا كان ادخال القيم الجديدة في المديح يمثل عنصراً من عناصر التجديد ، فإن هناك عناصر أخرى قيلت في موضوع المديح ولكن من وجهة نظر مخالفة.

فاذا كان بعض الشعراء يمدحون لأجل العطاء و المال فإن هناك شعراء دعوا الى رفض هذه الفكرة لأن رزق الانسان من الله سبحانه وتعالى. يقول ابو الاسود الدؤلي:

فان مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض او ببســـط وعجز المرء اسباب البلاء

ومن المعاني الجديدة التي دخلت الى هذا الغرض ان بني امية اضفوا على ممدوحيهم فكرة الجبرية وقد اشار الى ذلك الدكتور شوقي ضيف ان لا رأي للناس في اختيار الخلفاء بل كانت خلافتهم جبر وقدر على المسلمين وبذا يشيعون بين الناس مذهباً لفرقة

كلامية لتستفيد منها في حق تثبيت ملكها بين الناس فيقول: (فكانوا يعتمدون الاحتكام الى الجبرية)في تقرير خلافتهم ، اما عن عقيدة ثابتة و اما من أجل ارضائهم وفي كل مكان في شعر جرير و الفرزدق نجد اللجوء الى الجبر في تقرير خلافة الامويين و ان الله كتب ذلك ولا مفر منه ، ولا تبديل لكلماته يقول جرير:

نال الخلافة اذ كانت له قدراً كما اتى موسى ربه على قدر

فإنه رفض التكسب بالمال لأنه إذلال لنفس صاحبه وهذه الفكرة لم تدخل فن المديح إلا بسبب المعتقد الاسلامي الذي رسخه الاسلام.

قال عدي بن الرقاع العاملي يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم إذ يقول:

1-لمن رسم دار كالكتاب المنمنم بمنعرج الوادي فويق المهزم
2-عفت بعد اشباع الانيس كأنما الشخوص بها خيلان حرض وعجرم
3-توهمتها من بعد ما قد خلاها أهلة حول بعد حول مجرم
4-منازل أتراب تبدلن بعدها بلاداً فباتت غير نوي مهدم
5-سمعن بغيث رابع فتبعنه على كل موار الملاطم عثمثم

(الحفظ عشرة ابيات)

الذي يريد زيادة في الحفظ مراجعة كتاب الامالي في الادب الاسلامي د.إبتسام مرهون الصفار ص195-205

بعد هذا العرض الموجز جداً عن شعر المديح يتبين لنا أنه يتميز ببعض الميزات التي لاحظناها من خلال الدراسة لهذا الفن.

1-ظهور طبقة من الشعراء في هذا العصر اتخذوا الشعر حرفة يتكسبون بها ، فقاموا على تجويد شعرهم وهم الشعراء المداحون ، فقربهم الخلفاء و أغدقوا عليهم الاعطيات فراحوا يتنافسون في تجويد شعرهم وتنقيحه بغية ارضاء الممدوح ، وكان هؤلاء الشعراء الفضل في اكتمال بناء القصيدة العربية من حيث البناء الفني و اتقان الصياغة و متانة الاسلوب و استنباط المعاني الجديدة.

2-يحرص هؤلاء الشعراء على استهلال قصائدهم بالوقوف على الاطلال و التخلص من وصف الاطلال الى النسيب ، ثم ينتقلون الى وصف الرحلة الى الممدوح وما فيها من مشقة حتى ينتهوا الى وصف مناقب الممدوح و مآثره من كرم وشجاعة مع جنوح الى المبالغة. فاذا افرغوا من مدحه هزوا أريحية الممدوح الى العطاء.

3-ان جنوح شعراء العصر الاموي الى التكسب بشعرهم لم يكن ظاهرة جديدة في الشعر العربي ، فقد بدأ هذا الاتجاه منذ اواخر العصر الجاهلي ، فلما جاء العصر الاموي استشرت هذه الظاهرة.